Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«الرفيعة»... الخ. (أنت مديد، أنت بسيط، أنت طويل، أنت متقارب). (في هذه الكلمة يلمح الجاحظ إلى قصر قامة خصمه). ما هذا الشعر البديع الذي تجتمع فيه كل المقاييس، وما هذه الصورة الرائعة الجامعة ما بين الطول والإيجاز (٦٣ ـ ٨٧) ـ هذا كتبه الجاحظ ساخراً من خصمه الذي كان قصيراً وسميناً، ولكنه حسب كلمات الجاحظ «يدعي الفراهة والنحف، ويحاول إيهام الجميع بأنه طويل القامة» (٦٣ ـ ٨٢).

ومن أجل أن يتقبل القارىء والمستمع المضمون الهجائي لكلمات المؤلف، كان من المطلوب أن تطفو على سطح وعيهما وبسرعة مجموعة من التداعيات: التسميات العلمية «الرفيعة» للأوزان الشعرية، والمعاني المعجمية للمصطلحات من مفردات «الكلام اليومي»، أي المنتمية إلى المستوى «الوضيع» (مديد وطويل ومتقارب وبسيط) كلها تسميات الأوزان الشعرية، أما مقاييس طويل ومديد فهي، على الأغلب، ليست قياسات، بل أن تسمياتها تستدعي مفاهيم الطول، بينما بسيط ومتقارب فتستدعي مفاهيم العرض».

مثل هذا النوع من الصور الساخرة تحتاج إلى استعداد ذكائي كبير لدى القارىء، إذ إن أحكام الجاحظ المتظاهرة بالجدية حول ما هو المفضل المتطاول أو المستدير: «مع أن الناس يقولون عندما يصفون جمال أحدهم: يشبه عقد الياسمين، أو غصن البان... أو أنه مثل حد السيف اليمني أو النصل الهندي، لكنهم يقولون أيضاً: منير كالمشتري، ووجهه كالدينار الهرقلي.. هو كأنه الشمس، وهي كأنها قرص القمر، هي كالزهرة أو كاللؤلؤة.. أنت ترى أن الناس يستخدمون التشبيه بالمستدير والواسع، أكثر من تشبيههم بالدقيق والمتطاول (٦٣ ـ ٩٣).